غلاف المجلد
الرابع من
الاثار الكاملة

في ذكراه السادسة

صدور المجلد الرابع من الاثار الكاملة للرفيق الشهيد غسان كنفاني

في وقت تتعرض فيه ثقافتنا العربية التقدمية لاساليب القمع والارهاب والتضليل تمر ذكرى استشهاد الرفيق غسان كنفاني • ويصدر المجلد الرابع من آثاره الكاملة ★ • ويناسب ان المجلد الرابع يضم بين دفتيه دراسات غسان الادبية حول الادب الفلسطيني المقاوم من جهة وحول الادب الصهيوني من جهة مقابلة • ولا ابالغ او انحرف عن الصواب حين اقول ان صدور هذا المجلد الان ليس فقط احياء لذكرى الشهيد وتخليدا لاثاره ، انما اضافة سلاح تقدمي فعال يمكن ان يمتلكه مثقفونا وادباؤنا التقدميون في صراعهم مع الانظمة العربية ومثقفيها الرجعيين • صحيح ان الدراسات تتحدث عن الادب الفلسطيني في الارض المحتلة وصراعه مع الكيان الصهيوني ، ولكنها من حيث الجوهر مفيدة في القاء الضوء على الصراع الدائر حاليا بين الثقافة العربية التقدمية والانظمة الرجعية والفاشية •

لقد ضم المجلد ثلاثة كتب كانت قد صدرت تباعا ، هي حسب ورودها في المجلد :

١ ـ ادب المقاومة في فلسطين المحتلة ١٩٤٨ ـ ١٩٦٦ ، صدر للمرة الاولى عام ١٩٦٦ •

٢ ـ الادب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال ١٩٤٨ ـ ١٩٦٨ ، صدر للمرة الاولى عام ١٩٦٨ •

٣ ـ في الادب الصهيوني ، صدر للمرة الاولى عام ١٩٦٧ ، وصدرت منه طبعة ثانية مؤخرا •

وقد حمل المجلد ايضا مقدمة للشاعر محمود درويش •

ان الكتاب الاول « ادب المقاومة في فلسطين المحتلة ١٩٤٨ ـ ١٩٦٦ » هو اساس الكتابين الثانيين ، ففي هذا الكتاب يتناول غسان كنفاني ادب المقاومة الفلسطينية ، والشعر منه بشكل خاص واساسي ، مستعرضا بذور هذا الشعر ونشأته ودوره الفعال في مناهضه الاحتلال الصهيوني ، كما يتناول الشخصية العربية في الرواية الصهيونيه واضعا اسس كتابه « في الادب الصهيوني » ••

ولاننا كنا قد عرضنا كتاب « في الادب الصهيوني » بمناسبة صدور طبعته الثانية ★★ ولان المجال غير متسع ، سنقتصر على عرض الجزء الاساسي من المجلد ، وهو الكتاب الاول •

« غزال يبشر بزلزال »

ليس ممكنا تجاهل مقدمة محمود درويش لهذا المجلد ، لانها بحد ذاتها مقالا هاما يضيء جوانب معينة في شخصية غسان كنفاني • لقد قال محمود درويش ان « تاريخ النثر الفلسطيني يبدأ من غسان كنفاني » وقال محمود : « هنالك من يعتبر الحياة اتهاما وخيانة ، فيثني الكتابة عن فعاليتها لان الحرية لا تاتي بغير الموت ! •• ومن هنا ، يتحول الموت لدى هؤلاء الى هدف في حد ذاته • « انت متهم الى ان تثبت موتك » • داء شاع في حياتنا الفلسطينية • فاتخذ الفاشلون فيما جثث الشهداء متاريس وخنادق وقاعات محاكم • اطلقوا النار على الذات مرة ، وانتظروا رصاص الاعداء ، مرة اخرى ليكون معيار الجدارة • هذا الطراز ذاته من النظر الى الحركة والى الاشياء يحول جثة غسان كنفاني الى قاعدة لاغتيال الكتابة • وهي ، بذلك تجرد كاتبنا الكبير من اية قيمة خلاقة عدا الموت » •

واضاف « وان الموت حادث • ولكن هنالك نوعا من الموت يأخذ شكل الاجابة على معضلة او مقارنة • وهكذا يتحول مصرع الكتاب المناضلين الى دلالات ورموز • وهكذا كان مصرع غسان كنفاني شهادة على فاعليه الكتابة لا نفيا لها كما يتصور الميكانيكيون والعاجزون امام حركة العلاقات ، كهؤلاء الصبية القادمين الى اسم الثورة من اقاليم العجز والاحباط والقبح ، ليعمموا عاهاتهم على الورق وعلى نفسية البشر، فيتهمون الفن بالردة ، ويتهمون الحياة بالخيانة » •

وقال درويش في مقدمته للمجلد : « لقد سقط غسان كنفاني في ميدان الصراع • سقط وهو يسيطر على موقعه الكتابي •• وقد اغتاله الاعداء لانه حمل فاعلية الكتابة التي تصنع جيلا سيعثر على اداة التعبير عن فاعليته في السلاح • ولذلك

★ صدر المجلد الرابع من الاثار الكاملة للرفيق الشهيد « غسان كنفاني » عن « مؤسسة غسان كنفاني الثقافية » • بالاشتراك مع « دار الطليعة للطباعة والنشر » • ويقع المجلد في حوالي ٢٧٠ صفحة من القطع المتوسط • ثمنه ٢٢ ل•ل او ما يعادلها •

★★ عرضنا كتاب « في الادب الصهيوني » في عددنا الصادر يوم السبت ١٢ ايار ١٩٧٨ ، بمناسبة صدور الطبعة الثانية من الكتاب عن مركز الابحاث في م•ت•ف / شباط ١٩٧٨ •

فان الدفاع عن غسان كنفاني ، امام اخطاء من لا يرى فيه غير مؤنه ، هو دفاع عن الكتابه وعن الحياه » •• « غسان كنفاني هو كاتب الحياة • كان يكتب لانه يحيا • وكان يحيا لانه يكتب ويحيي ذاكره الماضي الفلسطيني لتكون مكان المستقبل • لم يكن الموت هدفه لانه لم يكن عاجزا عن الحياة في الكتابه ، ولانه لم يكن بعيدا عن حركة الفعل الفلسطيني الثوري الذي يبلور حياتها في الصراع • وكان توهده في الفعل الكتابي ، والذي يبلغ حد التصوف ، نوعا من استرداد حياته في حياة شعبه وصياغتها في مسرى الحلم العظيم » •

وقد اشار درويش الى ان دراسات غسان كنفاني في ادب الوطن المحتل كانت « عملية فدائية شهيرة » • ولكنه اضاف : « واذا كان غسان كنفاني قد شمل ، بهذه الصفة ، كل من كتب باللغة العربية في الارض المحتلة ، فلأن افراحه بما يجد كانت تشمل الكتاب واشباه الكتاب ، والمقاومين واللامقاومين ، لان افراحه كانت تشمل اللغة العربية في فلسطين المحتلة • ولذلك يمكن لفت الانظار الان الى ان بعض الاسماء الواردة في مقالات غسان كنفاني عن الادب في الارض المحتلة لا تحتل اكثر من فاصل هامشي في حياة العرب هناك ، وبعضها يحتل هامشا سلبيا يتناقض مع تقدير الوهلة الاولى »••

« ادب المقاومة في فلسطين المحتلة »

يرى غسان كنفاني ان الضرورة تقتضي ان يكون القارىء العربي عموما ، والنازح الفلسطيني خصوصا على اطلاع مستمر على ادب المقاومة في فلسطين المحتلة ، لانه ـ في الاساس ـ يتناوله بالذات ويخاطب فيه ما يخاطبه في عرب الارض المحتلة ، وينطلق من حوافز هي بالذات حوافزه ، ويتعامل ، دونما شك ، مع صلب قضيته • شعورا بمثل هذه الضرورة ـ يقول غسان ـ كان لا بد من التصدي لدراسة ادب المقاومة العربي في فلسطين ، هذا الادب الذي ظل مجهولا بالنسبة لنا طوال سنوات المنفى ، بالرغم من انه يشكل الجانب الاكثر اشراقا في كفاح الشعب المغلوب على امره •

يقول غسان : قبل كارثة ١٩٤٨ كان الادب العربي في فلسطين يشكل رافدا له قيمته في ذلك التيار الذي شغل النصف الاول من هذا القرن منذ من القاهرة بالذات مركزا لاطلاقه ولانصبابه ، متأثرا بالاقلام المصرية واللبنانية والسورية والتي كانت في ذلك الحين رائده ثورية لمرحلة جديدة خاضها الادب العربي بعد يوم طويل ـ وحتى الادباء الفلسطينيون البارزون طلوا لفترة طويلة يديمون بشهرتهم الى العواصم العربية التي كانت تفتح لهم صدورها وتتباهى •

وحين سقطت فلسطين في يد العدو لم يكن قد تبقى تقريبا في فلسطين المحتله أي محور ثقافي عربي يمكن ان يشكل نواة لنوع جديد من البعث الادبي ، وكان جيل كامل من المثقفين ، او بالاحرى اجيال من المثقفين ، قد غادرت فلسطين الى المنفى ـ ولم يبق ثمة الا مجتمع عربي قروي في غالبيته الساحقة ، يخضع لحصار سياسي واجتماعي وثقافي يندر وجود ما يماثله في العالم •

ويضيف الشهيد غسان كنفاني : ان كلمة « حصار ثقافي » لا توضح المقصود منها تماما الا اذا ادخلنا الى صميم ما تعنيه في الواقع :

اولا : في الاساس كان القطاع الاكبر من العرب الذين بقوا في الارض المحتلة يفتقرون ، بحكم وضعهم الاجتماعي ، الى المستوى الثقافي الذي يفرخ في العادة جيلا من الكتاب والفنانين •

ثانيا : انقلبت المدن المجاورة التي كانت تحتضن الموهوبين القادمين من الريف وتفتح لهم ابوابها ونوافذها للمعرفة الى مدن يهودية محرمة وعدوة •

ثالثا : انتصب جدار من المقاطعة الثقافية القسرية مع الادب العربي في عواصمه فانقطع عرب الارض المحتلة عن مواكبة التيارات الحديثة وتبادل التأثير معها •

رابعا : فرض الحكم العسكري الاغتصابي نوع الانتاج الادبي المطلوب ذيوعه وشيوعه وهو على اي حال ليس النوع الذي يريد عرب الارض المحتلة انتاجه •

خامسا : محدودية وسائل النشر وخضوعها من ناحية لمراقبة السلطة ومن ناحية اخرى لتمويل الاحزاب الصهيونية التي تشترط عند النشر نوعا هو غير النوع الذي يعبر حقا عما يريده عرب الارض المحتله •

سادسا : ضعف مستوى اتقان اللغات الاجنبية في اوساط عرب الارض المحتلة ، وخصوصا الريف • ادى الى انقطاع شبه كامل عن حركه الانتاج العالمي وتأثيراتها •

في ظل هذا « الحصار الثقافي » ظل الادب الشعبي بعد سقوط فلسطين عام ١٩٤٨ هو المكان الذي عبر فيه الشعب المغلوب على امره عن اشواقه ، ويبدو انه حين كانت تتحول الاعراس في الجليل الى مظاهرات عنف تندفع من تحت لسان القوالين والشعراء الشعبيين لم يكن بوسع سلطات الاحتلال الصهيوني الا ان تفتح النار على المتظاهرين ، وقد اضطرت هذه السلطات فيما بعد الى تقديم عدد كبير من القوالين الى الحاكم العسكري ، وان تضع رقابة صارمة على تحركاتهم •• ورغم ذلك فان الكلمة تفعل اكثر من فعل النار وتستطيع ان تخترق حصارها وقد سرد غسان كنفاني جزءاً هاما من سيرة الادب الشعبي المناضل ضد الاحتلال ، ثم انتقل الى نشوء الادب العربي في ظل الاحتلال الصهيوني حيث ابتدأ هذا الظهور بروايات واشعار غزلية مخلة وفقا لمخطط العدو الثقافي •• ودام ذلك خمس سنوات حيث بدأ شعر المنفى قد بدأ يتحول، بالتدريج ، من الحماس الصاخب الى الحماس الحزين • ولكن الاكثر أملا •• كانت مرحلة « عدم التصديق » قد انتهت نهاية مريرة حين صار الواقع اكبر حجما من ان يغطى بالتجاهل •• وقد حدث الشيء ذاته ـ مع حفظ الفروق التي تفرضها الظروف ـ بين الادباء العرب في الارض المحتلة : لقد انتهت وصلة عدم التصديق التي فشل شعر الغزل في تغطية ضخامتها ، ووجد الشعراء العرب انفسهم ـ على وجه الخصوص ـ يواجهون ما بات يصطلح على تسميته الان بـ « القضية » •• ولكنهم واجهوها من الطرف المقابل لذاك الذي اختاره ادب المنفى فاختاروا التحدي • ويضيف غسان : سوف ننتظر عشر سنوات اخرى حتى يقدم لنا شاب من البروة في فلسطين المحتلة ، اسمه محمود درويش ، تفسيرا رائعا لحلقة كانت مفقودة في تلك الفترة التي شهدت قفزة الادب العربي في الارض المحتلة من الغزل الى الشعر القومي دفعة واحدة • وسنرى في شعر الدرويش ، الذي قاله في اواسط الستينات ، ذلك المزج العميق ، الهادىء المتدفق بين المرأة والوطن ليجعل منهما معا قضية الحب الواحدة التي لا تنفصم • ثم تحدث غسان عن علاقة الاديب العربي بالسلطة الصهيونية التي لم تخرج عن الطابع العدائي ، رغم محاولات التحايل من قبل الشعراء العرب بهدف ايصال اصواتهم • واستطرد غسان في حديثه متناولا الادب الساخر بالكيان الصهيوني شعرا وقصة •• وذلك لتأكيد ميزة التحدي التي امتاز بها شعراء الارض المحتلة عن غيرهم من الشعراء العرب : سميح القاسم ، توفيق زياد ، محمود درويش • وبعد أن تحدث غسان عن المرأة ـ الوطن في شعر المقاومة ، تحدث عن تفاعل هذا الشعر مع

محمود درويش

سميح القاسم

توفيق زياد